أصول القرآن
في
التحذير من المنكرات

الدكتور/ شافي سلطان العجمي(۞)

مقدمة في أهمية الموضوع وأسباب الحديث عنه ومنهج البحث :

كانت قضايا القرآن الكلية وموضوعاته الجزئية تدور حول التوحيد والقصص والأحكام، لأن التوحيد غاية الطريق، والقصص تحث على سلوك الطريق وتحمل تبعاته وتذكر بما جرى على من سلكه، والأحكام تبين حقوق الطريق وواجباته.

ولما كانت الأحكام تقوم على الفعل والترك جاء القرآن بدعوة الناس للمعروف، ونهيهم عن المنكر، وكان منهج القرآن في ذلك متميزا، فقد أوضح السبل، وأبان المحجة، فجاءت الآيات تبين المعروف، وتزينه للخلق، وتبين عاقبة فعله، وتبين المنكر، وتقبحه للخلق، وتبين عاقبة فعله .

وكشف هذا المنهج، وبيان طرقه، من مقاصد الشرع، ومحاسن الإسلام، لكي يقارن الناس بين منهج الحق والباطل في التحذير من فعل المنكر، ويزداد الذين آمنوا إيمانا .

ومع شدة الحاجة لبيان هذا المنهج إلا أني لم أجد من تناوله في بحث أو رسالة، فأحببت أن أبينه معتمدا على المنهج الاستقرائي القائم على استقراء جميع المواضع التي حذرت من المنكر، وأرتبها بما يبرز مضمونها .

وقد اقتضت خطة البحث أن يكون في مقدمة وقد مرت، وتمهيد ومبحثين : الأول: في بيان منهج القرآن في عيب المنكر وصاحبه، والمبحث الثاني في عقوبة فاعل المنكر، والخاتمة .

(۞) أستاذ مساعد في قسم الحديث والتفسير في كلية الشريعة - جامعة الكويت

التمهيد

في منهج القرآن في التدرج في التحذير من المنكرات

فطر الله الخلق على التدرج في حياتهم، وأودع في عقولهم قبول التدرج، وجبلهم على الفرار من أخذ كل شيء مرة واحدة، فجاء القرآن مراعيا ذلك كله، فتدرج في بيان الحقوق والواجبات، وبدأ ببيان التوحيد واليوم الآخر في أول الأمر في مكة، وجاء وصف الجنة والنار، ونزلت قصص الأنبياء في الأعراف ويونس وهود ويوسف وإبراهيم والشعراء والنمل والقصص والصافات وبقية السور المكية.

ثم جاءت الأحكام والحلال والحرام في المدينة، وكانت الأحكام متدرجة فأول ما فرضت الصلاة ركعتين، وأول ما فرضت الزكاة فرضت مطلقة بلا تقييد بوقت أو شخص أو مقدار، وأول ما فرض من الصيام كان على التخيير، وأول ما فرض من الجهاد كان جهاد الدفع، وأول ما حرم من الخمر كان عند اقتراب الصلاة.

ومنهج القرآن في التحذير من المنكرات كان ببيان أعظم المنكرات وهو الشرك وبيان خطره وعاقبة أهله، ثم جاءت الآيات تبين الجنة والنار، والدار الآخرة، ثم توالت الآيات المبينة للمنكرات الكبرى كقتل الأولاد من البنات، والزنا، والغدر، ونهر اليتيم والمسكين، والخيانة، واتباع الهوى، كما في سورة المعارج، والنازعات، والقلم، والماعون ونحو ذلك.

المبحث الأول
عيب المنكر وصاحبه
المطلب الأول
عيب المنكر

١- ضرب الأمثال المبينة لضعف المنكر وعدم نفعه لصاحبه :

يضرب الله الأمثال للناس لتحصل العبرة والمقارنة بين الحال والمثال، والمحسوس وغير المحسوس، والغائب والشاهد، ولكي يزداد اليقين بالغائب، وتظهر حقيقة الحق والباطل، وذلك أن الأمثال سائرة، والعقول تتلقاها بالقبول، وأمثال القرآن أكثر معنى وأوجز لفظا من أمثال العرب، كقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[١]، فقد كانت العرب تقول : القتل أنفى للقتل، ولفظ القرآن أوفى معنى وأوجز لفظا وأحسن سبكا[٢].

وقد قال تعالى : (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ)[٣]، وضرب المثل في القرآن يكون في صور، منها ضرب المثل للحق مثل كلمة الحق كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ)[٤]، وضرب المثل للمقارنة بين المؤمن والكافر، كقوله تعالى: (مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)[٥].

وأكثر ما تكون أمثال القرآن في أصول الدين كالتوحيد وترك الشرك وعدم الاغترار بالدنيا، وفي ذلك يقول عبد الرحمن السعدي في تفسيره : أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها[٦].

وكانت أمثال القرآن تهدف إلى بيان ضعف المنكر- كالشرك - وعدم نفعه لصاحبه، وله أمثلة كثيرة منها :

المثال الأول : تمثيل المشرك بمن شارك المملوكين :

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩
(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢٢٩/٥)،وتفسير ابن كثير(٤٩٢/١).
(٣) سورة العنكبوت : ٤٣
(٤) سورة إبراهيم : ٢٤
(٥) سورة هود : ٢٤
(٦) تفسير السعدي (٦٣١/١) .

قال تعالى: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1].

وفي هذا المثل يبين الله للكفار مثلا من أنفسهم وهو أقرب لعقولهم وأعظم حجة عليهم، ومفاد المثل أنهم لا يقبلون الشركة مع ما ملكت أيمانهم في الرزق فكيف يجعلون مع الله شركاء من خلقه .

المثال الثاني : تمثيل الكفر ببيت العنكبوت :

قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[2]، ومفاد المثل أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم من دون الله ولن يجدوا من شركائهم جلبا لنفع ولا دفعا لضر، ومثلهم كمثل العنكبوت في بيتها الذي اتخذته فإنه أضعف البيوت من جميع الوجوه فلا يستر صاحبه، ولا يحميه من البرد والحر، ولا يدفع عنه عدوا، ولا يثبت طويلا، وكل شيء قادر على محو هذا البيت.

المثال الثالث: بيان ضعف الأصنام بعجزها عن خلق الذباب :

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)[3].

ومفاد المثل أن الكفار يعبدون من دون الله أصناما عاجزة، ومن عجزها أنها لا تقدر على خلق أحقر الحشرات كالذباب، ولو اجتمع الشركاء على ذلك، بل هناك ما هو أعظم من ذلك، وهو : أن هؤلاء الشركاء عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم، فلو أخذ الذباب منهم شيئا فلن يقدروا على رده، فعاد الأمر على أن هؤلاء الشركاء لا ينفعون أنفسهم ولا غيرهم، ولا يدفعون الضر عن أنفسهم ولا غيرهم .

المثال الرابع : تمثيل الكفر بالريح :

قال تعالى: (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[1].

(١) سورة الروم : ٢٨
(٢) سورة العنكبوت :٤٣
(٣) سورة الحج : ٧٣

ومفاد المثل أن نفقات الكفار لا تعود عليهم بالنفع لكفرهم وعدم إيمانهم، ومثل ذلك كمثل حرث قوم أصابته ريح فيها صر وبرد فأهلكته، وكذلك الكفر يحبط العمل .

المثال الخامس: تمثيل الغيبة بأكل الميتة:

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)[٢].

المثال السادس: ضرب المثل لمن أحرق حسناته :

قال تعالى: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[٣]، وقد شرح هذا المثل عمر بن الخطاب وأقره جمع من الصحابة : ففي البخاري عن عبيد بن عمير، قال: قال عمر ﷺ، يوما لأصحاب النبي ×: **فيم ترون هذه الآية نزلت (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ) قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله[٤].**

٢- **بيان نقيض غرض صاحب المنكر** :

وذلك أن غرض صاحب المنكر من فعله جلب النفع أو دفع الضر، وهذا غير حاصل من فعل المنكر، ولذلك أمثلة :

منها : موالاة الكفار لكسب مودتهم :

يبين الله أن موالاة الكفار لا تعود على صاحبها بالنفع أو دفع الضر، وذلك أن الكفار لو تمكنوا من المسلمين الذين والوهم لأظهروا العداوة وبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولا يرضى الكفار إلا بمتابعتهم على دينهم، كما قال تعالى (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ

(١) سورة آل عمران : ١١٧ .
(٢) سورة الحجرات : ١٢
(٣) سورة البقرة : ٢٦٦
(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب، رقم الحديث ٤٥٣٨ .

ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ)[1]. ولذلك قال الله تعالى في قصة حاطب بن بلتعة[2] حين أرسل كتابا لكفار مكة يخبرهم بمسير النبي × إليهم: (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ)[3]، ومن ذلك ضرب المثل لعبادة الكفار ببيت العنكبوت والذباب، وقد تقدم ذكر ذلك قريبا.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)[4]، فقد اختار ابن زيد والربيع بن أنس أن الرهق هو الخوف[5]، وذلك نقيض قصد المشركين لأنهم استعاذوا بالجن طلبا للأمن فعادت استعاذتهم خوفا.

ومن ذلك أن الأنبياء في حديثهم مع أقوامهم كانوا يبينون لهم عدم جدوى الأصنام، وأنها لا تعود على عابديها بجلب نفع أو دفع ضر، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن أصنام قومه :

(قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)[6].

٣- وصفه بأنه خطأ كبير: (وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا)[7]، قال الفراء: وكأن الخطأ الإثم[8]، وقال الطبري: ويحكى عن العرب: خطئت: إذا أذنبت عمدا، وأخطأت: إذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له[9]، ووصف المنكر بالكبير للتحذير منه، وليفرق العبد بين المنكر الكبير والصغير، فيعطي كل ذنب حقه من الحذر، فليست الكبائر كالصغائر، وكما أن الحسنات فيها الكبار والصغار كالتوحيد وإماطة الأذى عن الطريق، فكذلك الذنوب فيها ذلك، وقد قال تعالى: ((ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ

(١) سورة البقرة : ١٢٠
(٢) روى القصة البخاري في صحيحه . كتاب التفسير . باب لا تخذوا عدوي وعدوكم . رقم الحديث ٤٨٩٠ ، ورواه مسلم في صحيحه .كتاب الفضائل . باب فضائل حاطب بن بلتعة . رقم الحديث ٢٤٦٤ .
(٣) سورة الممتحنة : ٢ .
(٤) سورة الجن : ٦
(٥) (٦٥٤/٢٣).
(٦) سورة الشعراء : ٧٢ ، ٧٣ .
(٧) سورة الإسراء: ٣١ .
(٨) معاني القرآن للفراء (١٢٣/٢)
(٩) تفسير الطبري(٤٣٧/١٧) ، وانظر تفسير القرطبي(٢٥٢/١٠).

بِمَنِ ٱتَّقَىٰ)[1]، ويرى الطبري[2] أن هذه الآية نظير قوله تعالى: (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا)[3].

ومن وصف المنكر بالكبير قوله تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ)[4]، وقوله: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ)[5]، وقوله (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)[6]، وقوله: (وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)[7]، ونجد هذه الآيات الأربع تصف القتل في الأشهر الحرم والخمر والميسر وموالاة الكفار وأكل مال اليتيم كل ذلك من المنكر الكبير ليتقيها العبد، ويحذر منها أشد من غيرها.

٤- **وصف المنكر بأنه فسق:** أي أنه خروج عن الطاعة، وأصل الفسق من قولهم فسقت الرطبة أي خرجت، ومنه سميت الفأرة بالفويسقة لخروجها، وتسمية بعض المنكرات بالفسق لعظيم منافرتها للإيمان وخروج صاحبها عن صفة الطاعة والبر، وقد وردت ثلاثة آيات في هذا المقام وكلها في باب الأطعمة، ووجه ذلك أن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه مشابهة كبيرة للمشركين في طعامهم، فإنهم كانوا يذكرون أسماء أصنامهم على ذبائحهم، ويذبحون لأصنامهم، ومشابهتهم في ذلك لون من ألوان الشرك، ولذلك قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[8]، فوصف طاعة الكفار في أكل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه شركا، والمقصود به الطعام الذي ذبح للأصنام أو ذكر اسم الصنم عليه، أما متروك التسمية سهوا مما ذبحه

(١) سورة النجم : ٣٢
(٢) تفسير الطبري(٢٢/٥٣٨) .
(٣) سورة النساء : ٣١
(٤) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٥) سورة البقرة : ٢١٩ .
(٦) سورة الأنفال : ٧٣ .
(٧) سورة النساء : ٢
(٨) سورة الأنعام : ١٢١ .

المسلمون فلا يدخل في ذلك عند جمهور الفقهاء[١]، وهذا ما ذهب إليه جماعة من المفسرين[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٣]، وقوله: (قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٤].

وتأتي آيات تصف فاعل بعض المنكرات بأنه من الفاسقين، كقوله: (قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ)[٥] والمقصود بهم قوم موسى حين تخلفوا عن دخول الأرض المقدسة فضربهم الله بالتيه أربعين سنة، وفي ذلك يقول الطبري: فقضاء الله جل ثناؤه بينه وبينهم أن سماهم فاسقين وعنى بقوله الفاسقين الخارجين عن الإيمان بالله وبه إلى الكفر بالله وبه[٦]، وقوله : (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ)[٧]، والمقصود بالفاسقين هنا الذين الذين يحلفون على الكذب كما قال ابن زيد[٨]، وقوله: (قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ)[٩] وختم الآية بنفي هداية الله

(١) انظر : بدائع الصنائع للحنفية (٤٧/٥)،والمجموع للنووي(٤١٢/٨)،والمغني لابن قدامة (٣٦٧/٩) وإرشاد السالك في فقه مالك(٥٥/١)
(٢) تفسير الطبري(٧٦/١٢) ، وتفسير القرطبي (٧٧/٧).
(٣) سورة المائدة : ٣
(٤) سورة الأنعام : ٢٤ .
(٥) سورة المائدة : ٢٥ .
(٦) تفسير الطبري(١٨٩/١٠) .
(٧) سورة المائدة : ١٠٨
(٨) تفسير الطبري(٢٠٦/١١) .
(٩) سورة التوبة : ٢٤ .

للفاسقين للدلالة على أن من أحب هذه الثمانية وترك وفضلها على الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من الفاسقين، وقد قال الطاهر بن عاشور في ذلك : >وجملة والله لا يهدي القوم الفاسقين تذييل، والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقق أنهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين فحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنهم من الفاسقين<[1]. وقوله: (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)[2]، والمقصود بالفاسقين هنا من تركوا الإيمان بالله من المنافقين، قال الطبري في تفسيره عند هذه الآية : >والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته، على الإيمان به وبرسوله<[3]، وقوله: (مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)[4] والمقصود بهم هنا يهود بني النضير[5].

٥- **وصفه بأنه محرم**: وقد كانت الآيات المبينة لتحريم بعض المنكرات محدودة، كقوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[6]، وقوله: (قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)[7]، وقوله: (ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ

(١) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/١٥٤) .
(٢) سورة التوبة : ٨٠
(٣) تفسير الطبري(١٤/٣٩٥) .
(٤) سورة الحشر : ٥
(٥) تفسير الطبري(٢٣/٢٦٣).
(٦) سورة البقرة : ١٧٣
(٧) سورة الأنعام : ١٥١-١٥٢

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)[1]، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[2] وقوله: (وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا)[3]، وتحريم الشيء أي منعه، ونجد أن المنكرات المخصوصة بنص التحريم من الكبائر الموبقات كالشرك والقتل والزنا وأكل مال اليتيم، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله × قال: >**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**<[4].

٦- **وصفه بأنه مكروه**: والأصل في معنى الكراهية البغض عدم الرضى، وقد جاءت آيات الإسراء تبين ما كرهه الله من المحرمات، وهي قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)[5]، والمكروه هنا: هو المنهي عنه غير المرضي عنه[6]، وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: وفيه تعريض بأن فاعله مكروه عند الله[7].

٧- **وصفه بأنه رجس**: ومعناه الإثم[8]، قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[9]، وقوله

(١) سورة النور : ٣
(٢) سورة الأعراف : ٣٣ .
(٣) سورة الإسراء : ٣٣ .
(٤) رواه البخاري في صحيحه .كتاب الحدود . باب رمي المحصنات . رقم الحديث ٦٨٥٧ ، ورواه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان . باب بيان الكبائر وأكبرها . رقم الحديث ١٤٥ .
(٥) سورة الإسراء : ٣٣-٣٨ .
(٦) تفسير الطبري(١٧/٤٥١) وتفسير القرطبي (١٠/٢٦٢) .
(٧) تفسير التحرير والتنوير (١٥/١٠٥) .
(٨) تفسير الطبري(١٠/٥٦٤) .
(٩) سورة المائدة : ٩٠ .

(رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ)، للدلالة على رجسيته المعنوية، فكما أن الرجس يكون حسيا فكذلك يكون معنويا، وفي ذلك يقول القرطبي: >قال ابن عباس في هذه الآية: (رجس) سخط. وقد يقال للنتن والعذرة والأقذار رجس والرجز بالزاي العذاب لا غير، والركس العذرة لا غير، والرجس يقال للأمرين<[1]، ونحو ذلك قوله : (قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2].

٨- **وصفه بالمنكر**: قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)[3]، ووصف الظهار بأنه منكر لتقبيحه وتنفير الناس عنه، لمخالفته الشرع والواقع، ولذلك قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ)[4] وقوله: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)[5]، وقد اختار جمهور المفسرين أن المنكر في الآية هو فعل اللواط في المجالس[6]، وإن كان بعض المفسرين كالطبري قد اختار رأيا آخر، وهو إيذاء الناس في الطريق برميهم والسخرية بهم، محتجا بحديث ورد في ذلك[7].

٩- وصف بعض المنكرات بالإثم والباطل: قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[8]، ومعنى أكل أموال الناس بالباطل أي بغير وجه حق، وهذا ما

(١) تفسير القرطبي (٢٨٧/٦) .
(٢) سورة الأنعام : ١٤٥ .
(٣) سورة المجادلة : ٢ .
(٤) سورة المجادلة : ٢ .
(٥) سورة العنكبوت : ٢٩.
(٦) تفسير الطبري(٢٩/٢٠).
(٧) الحديث ضعيف لضعف رواته فإن فيه سماك بن حرب وقد ضعف أفراده جماعة من المحدثين، انظر تهذيب الكمال (١١٥/١٢) ، وفيه باذان أبو صالح وقد ضعفه الجمهور .انظر تهذيب الكمال للمزي (٧/٤) .
(٨) سورة البقرة : ١٨٨ .

تدل عليه كلمة الباطل، فهي كلمة عامة تشمل جميع الصور المحرمة في أكل أموال الناس بغير حق كالربا والرشوة والميسر والغش والتدليس ونحو ذلك[١]، وقد جمع ذلك الطبري معاني ذلك فقال في الأكل بالباطل: وأكله بالباطل أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لآكليه[٢].

١٠- **وصف بعض المنكرات بالفاحشة**: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[٥]، ونلاحظ أن وصف الفاحشة اختص بالمنكرات المتعلقة بالفرج كالزنا واللواط ونكاح أم الأب، وسبب تسميتها بالفاحشة لأنها مستقبحة عند الطباع السليمة، وفي ذلك يقول الطبري: >ومعنى >الفاحشة<، الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه، وأصل >الفحش<: القبح، والخروج عن الحد والمقدار في كل شيء، ومنه قيل للطويل المفرط الطول : >إنه لفاحش الطول<، يراد به : قبيح الطول، خارج عن المقدار المستحسن، ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد : >كلام فاحش<، وقيل للمتكلم به : >أفحش في كلامه<، إذا نطق بفحش<[٦]، ولكي تنفر منها العقول قبل الجوارح .

(١) تفسير القرطبي (٣٣٨/٢) .
(٢) تفسير الطبري(٥٤٩/٣) .
(٣) سورة الإسراء : ٣٢ .
(٤) سورة النساء : ٢٢ .
(٥) سورة الأعراف : ٨٠-٨١ .
(٦) تفسير الطبري(٢١٨/٧) .

المطلب الثاني
عيب صاحب المنكر

تتفاوت النفوس في قبول التحذير من فعل المنكر، فمنها من ينفر من قبح المنكر، ومنها من ينفر من قبح فاعل المنكر، ومنها من ينفر من عقوبة فاعل المنكر، فالأولان مريضان بمرض الجهل وعلاجه العلم، والثالث مريض بمرض الظلم وعلاجه بالعدل، فالعلم يكشف الطريق للجاهل، والعقوبة تمنع الظالم من مخالفة الطريق، وذلك أن من النفوس من تشبه المغضوب عليهم من اليهود ممن علموا الحق فتركوه، ومنها من تشبه الضالين من النصارى ممن جهلوا الحق فضلوا عن سواء السبيل، والصراط المستقيم قائم على مخالفة المغضوب عليهم والضالين، وقد قال سفيان بن عيينة : >كانوا يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى<[1].

وكانت طريقة القرآن في التحذير من المنكرات متصرفة بحسب تصرف النفوس، ولما كانت بعض النفوس تنفر من عيبها، ووصفها بالصفات السيئة جاءت الآيات تبين وصف فاعل المنكر، وعيبه، ورميه بأشنع النعوت، لكيلا يفعل المنكر، وحتى ينفر الناس من مشابهته، وكانت صفات أهل المنكر كثيرة، وهذا سردها كما في القرآن :

١- **مشابهة صاحب المنكر للكفار :** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3]، وتشبيه العبد بالكفار تعني موافقتهم في شيء من خصائصهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم كما قال رسول الله ×[4]، وحين يوصف فاعل المنكر بأنه قد شابه الكفار فإن ذلك مدعاة للمسلم للحذر من المنكر، ومجانبته، والفرار منه .

٢- **بيان ظلم صاحبه**: قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣،١٠٠).
(٢) سورة المائدة : ٥١ .
(٣) سورة التوبة : ٢٣ .
(٤) رواه أبو داود في سننه من حديث ابن عمر .كتاب اللباس . باب في لبس الشهرة . رقم الحديث الحديث ٤٠٣١.

ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ)[1]، ونجد في الآية عدة طرق للتحذير من المنكر، فوصفه أولا بالظلم ثم توعده بالخزي في الدنيا، والخوف والعذاب في الآخرة، ومن ذلك قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)[2]، ويدخل في ذلك إذا ختمت الآية بعقوبة الظالمين أو ترك هدايتهم أو وصف تارك أمر الله بأنه من الظالمين كقوله تعالى: (وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[3]، واتباع أهواء أهل الكتاب في أصل دينهم ظلم أكبر، واتباع أهوائهم في سائر خصائصهم مما لا ينفع العبد من الظلم الأصغر، وقد يكون كبيرة أو صغيرة أو مكروها، كموافقتهم في أعيادهم أو ثيابهم ونحو ذلك .

ومن ذلك قوله تعالى: (كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[4]، وهذه الآية في المرتدين، ولا أظلم من المرتد إلا إذا حسنت توبته، وهذا قول ابن عباس واختاره الطبري لكثرة القائلين به[5].

ومن ذلك قوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[6]، وقد دلت الآية على أن موالاة اليهود والنصارى من الظلم العظيم، وذلك أن الله لم يقل: ومن يتولهم منكم فإن الله لا يهديه، بل ختم الآية بما يفيد صلاحيتها لمن فعل فِعْل هؤلاء ومن شابههم، وهذا ما يسمى بالإظهار في موضع الإضمار[7].

(١) سورة البقرة : ١١٤ .
(٢) سورة الحجرات : ١١ .
(٣) سورة البقرة : ١٤٥ .
(٤) سورة آل عمران : ٨٦ .
(٥) تفسير الطبري(٦/٥٧٥) .
(٦) سورة المائدة : ٥١ .
(٧) انظر الإيضاح في علوم البلاغة (٨١/٢) .

ومن ذلك قوله تعالى في بيان أن الاعتداء في الشهادة ظلم: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

وقوله في ظلم طرد المؤمنين من المجالس: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2].

ومن الظلم ترك الإذن من الله كقوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[3].

ومن الظلم اتباع الهوى كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[4].

ومن الظلم الافتراء على الله بالكذب كقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[5].

٣- **خسارة فاعل المنكر:** وقد جاء وصف الخسارة في القرآن على أربع صور:

الصورة الأولى: التصريح بخسارة فاعل المنكر، وهذا في أكثر المواضع، وكان وصف الخسارة يتوجه لبعض المنكرات، كنقض الميثاق مع الله وقطع ما أمر الله بوصله والفساد بالأرض، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[6]، والأمن من مكر الله كقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ

(١) سورة المائدة : ١٠٧ .
(٢) سورة الأنعام : ٥٢ .
(٣) سورة الأنبياء : ٨٧ .
(٤) سورة هود : ٥٠ .
(٥) سورة الصف : ٧ .
(٦) سورة البقرة : ٢٧ .

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)[1]، والاستمتاع بالباطل، والخوض فيما خاض فيه أهل الباطل كقوله: (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[2]، والالتهاء بالأموال والأولاد عن الذكر الواجب كقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[3]، ومن ذلك قتل الأولاد، وتحريم ما أحل الله كقوله: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)[4]، ومن ذلك من يعبد الله على حرف وطرف، فإن أصابته فتنة انقلب على وجهه كقوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)[5].

والصورة الثانية: أن يوصف فاعل المنكر بأنه قد خسر نفسه، كقوله: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ)[6]، ومن خسر أهله ونفسه يوم القيامة كقوله: (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)[7].

والصورة الثالثة : أن تأتي الآيات ببيان عدم ربحه، كقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)[8].

والصورة الرابعة أن تأتي الآيات ببيان اشترائه شيئا لا قيمة له، كقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)[1].

(١) سورة الأعراف : ٩٩ .
(٢) سورة التوبة : ٦٩
(٣) سورة المنافقون : ٩ .
(٤) سورة الأنعام : ١٤٠ .
(٥) سورة الحج : ١١
(٦) سورة الأعراف : ٩
(٧) سورة الزمر : ١٤-١٥ .
(٨)سورة البقرة : ١٦ .

٤- **فساد صاحبه:** والفساد يأتي في القرآن وصفا للمنكرات الظاهرة العامة التي تضر الناس، كقوله تعالى (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)[٢]، وقوله: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[٣]، وقد جاء وصف المنافقين بالمفسدين في موضع واحد وهو قوله تعالى: (أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ)[٤]، والفساد ضد الصلاح، وأي فساد أعظم من المنافقين.

٥- **ضلاله:** وأكثر ما ورد الضلال في القرآن في الكفر والشرك، وقل أن ينصرف إلى غيره، وروروده في المنكرات لمشابهتها لأفعال الكفار، كموالاة الكفار، وقسوة القلب، والقنوط من رحمة الله، كقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)[٥]، وقوله: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)[٦]، وقوله: (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ)[٧].

٦- **مرض صاحبه** : وقد جاء وصف فاعل المنكر بالمرض على أمرين : على النفاق، وهذا في أكثر المواضع، كقوله: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟

(١)سورة البقرة : ٨٦ .
(٢)سورة البقرة : ٢٠٥ .
(٣)سورة الروم : ٤١ .
(٤)سورة البقرة : ١٢ .
(٥)سورة الممتحنة : ١ .
(٦)سورة الزمر : ٢٢ .
(٧)سورة الحجر : ٥٦ .

يَكْذِبُونَ)[1]، وعلى مرض المعاصي، ولذلك يجري العطف في القرآن بين المنافقين ومن في قلوبهم مرض، كقوله: (إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]، وقوله: (وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا)[3]،)[3]، وقوله: (لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا)[4]، وجاء في مواضع وصف فاعل المنكر بالمرض ليشمل المنافقين وأهل المعاصي، كقوله: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)[5]، وقوله: (لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ)[6].

٧- **وصفه بالسفه على سبيل الإنكار:** كقوله: (أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ)[7]، وأما قوله: (وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)[8]، فليست من هذا الباب ؛ لأن السفهاء هنا هم النساء والصبيان ومن شابههم في ضعف التصرف، ولأن النهي خرج على سبيل رعاية الأموال وحفظها من النساء والصبيان على قول جمهور المفسرين[9].

٨- **تشبيه صاحب المنكر بالحيوانات بالأنعام والحمار والكلب :** كرم الله الإنسان، وفضله على كثير مما خلق، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[10]، وقد أجاد الطبري في بيان صفة تفضيل بني آدم على

(١) سورة البقرة : ٨-١٠ .
(٢) سورة الأنفال : ٤٩ .
(٣) سورة الأحزاب : ١٢ .
(٤) سورة الأحزاب : ٦٠ .
(٥) سورة الأحزاب : ٣٢ .
(٦) سورة الحج : ٥٣ .
(٧) سورة البقرة : ١٣ .
(٨) سورة النساء : ٥ .
(٩) انظر : تفسير الطبري (٧/٥٦٠)، وتفسير القرطبي (٥/٢٧) .
(١٠) سورة الإسراء : ٧٠ .

غيرهم، فقال: >بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم<[1]، وهذا التفضيل يقتضي عبادة الله وحده لا شريك له، وتسخير نعم الله في مرضاته، أما إذا استكبر العبد عن ربه، وكفر بنعمة الله، فإن الأنعام أحسن حالا منه، لقوله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ)[2]، وقد يهبط العبد عن منزلته التي كرمه الله فيها حتى يكون مثل الحمار، وهذا مثل من يحمل كلام الله كالتوراة ويخالفه، وقد قال تعالى: (مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[3]، وأقبح من الحمار الكلب الذي يلهث لشدة حرصه، فهو دائم الوقت على هذه الحال، وهذا مثل من انسلخ عن الحق بعد معرفته، فلا ينفع معه نصح ولا عقوبة، كقوله تعالى: (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ)[4]، ومثل الحمار مثل العالم الجاهل الذي يصد الناس بجهله، ومثل الكلب مثل العالم الفاجر الذي يصد الناس بظلمه .

٩- **وصف فاعله بأن الله قد غضب عليه :** ومن غضب الله عليه، فقد أحاطت به المصائب، واجتمع عليه الهم والغم، ورحلت عنه البركة، ونزلت به النقمة، وما ابتلي أحد بمثل بلائه إلا أن يكفر بالله، وقد وسم الله من يفعل بعض المنكرات، أو يترك بعض الواجبات بأن الله قد غضب عليه، كقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ

(١) تفسير الطبري(١٧/٥٠١) .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٣) سورة الجمعة : ٥
(٤) سورة الأعراف : ١٧٥-١٧٧ .

بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)[1]، ومن ذلك قوله: (فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى)[2]، وقد عبدوا العجل فقال لهم موسى ما قال، ومن ذلك قوله: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)[3]، ومن جادل بالباطل ليدحض الحق فقد غضب الله عليه، ومن ذلك قوله: (وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)[4]، وذلك لأن خيانة الزوج في فراشه مستوجبة لفساد الأسرة، فاستحقت الزوجة الزانية الغضب.

١٠- **لعن صاحبه :** واللعن طرد من رحمة الله، ومن طرد من رحمة الله استحق دخول النار، وقد ورد غضب الله على بعض المنكرات، مثل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقوله : (لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ)[5]، ومن المنكرات التعدي على المؤمنين بغير حق وإيذائهم، كقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)[6]، ومن ذلك قذف المحصنات المؤمنات، كقوله: كقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[7].

(١) سورة الأنفال : ١٥-١٦ .
(٢) سورة طه : ٨٦ .
(٣) سورة الشورى : ١٦ .
(٤) سورة النور : ٩
(٥) سورة المائدة : ٧٨-٧٩ .
(٦) سورة الأحزاب : ٥٧-٥٨ .
(٧) سورة النور : ٢٣ .

ومن ذلك كتم الحق عن أهله المستحقين لمعرفته، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1].

١١ – **وصف فاعله بأنه لا يعقل :** وأعظم العقل ما دلك على خالقك، والعقل يعقل صاحبه عن فعل القبيح، ولا أقبح من المنكرات، فإذا رتع الإنسان في المنكرات فقد نقص عقله بقدر منكراته، ومن المنكرات ترك الأدب مع النبي ×، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]، ومن ذلك السخرية من نداء الصلاة والاستهزاء به، كقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[3]، ومن ذلك أمر الناس بالحق الواجب ونسيان النفس، كقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4].

١٢- **نسبة فعل المنكر للكفار على سبيل الذم :** والقرآن يسند المنكر للكفار لينفر العبد المسلم منه، ويعلم بأن فعل المنكر لا يصدر إلا كافر، أو مشابهه، والسخرية من المؤمنين لا تصدر إلا من الكفار أو من شابههم، كقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾[5]، والكافر لا يصلي ولا يتصدق، كقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾[6]، والكافر لا يحسن علاقته مع ربه، ولذلك لا يصلي، ولا يحسن علاقته مع الناس، ولذلك لا يطعم المسكين، وهذا ما قاله الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة : ١٥٩ .
(٢) سورة الحجرات : ٤ .
(٣) سورة المائدة : ٥٨ .
(٤) سورة البقرة : ٤٤ .
(٥) سورة المطففين : ٢٩-٣٢ .
(٦) سورة القيامة : ٣١-٣٣ .
(٧) سورة المدثر : ٤٢-٤٦ .

ويدخل في ذلك نسبة الفعل للكفار من بني إسرائيل على سبيل الذم: كقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[7]. يَصْنَعُونَ﴾[7].

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ

(١) سورة البقرة : ٤٢ .
(٢) سورة البقرة : ٤٤ .
(٣) سورة البقرة : ٧٤ .
(٤) سورة البقرة : ٧٩-٨٠ .
(٥) سورة البقرة : ٨٤ .
(٦) سورة البقرة : ١٠٠-١٠١ .
(٧) سورة المائدة : ٦٤ .
(٨) سورة الأعراف : ٨٥ .
(٩) سورة الأعراف : ٩٩ .

ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ)[1].

وقوله تعالى: (قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ)[2]، وقوله تعالى: (لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ)[3].

وقوله تعالى: (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ)[4].

وقوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)[5]، وقوله تعالى: (سَيَقُولُ

(١) سورة الأعراف : ١٤٦ .
(٢) سورة المائدة : ٧٧
(٣) سورة المائدة : ٧٨-٧٩ .
(٤) سورة البقرة : ١٠٢-١٠٤ .
(٥) سورة البقرة : ١٠٩ .

ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)[1].

وقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)[2].

وقوله تعالى: (هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)[3]، وقوله تعالى: (وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)[4].

وقوله: (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ)[5]، وقوله تعالى: (لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)[6]، وقوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ)[7].

وقوله تعالى: (وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ)[8].

١٣ـ نفي الإيمان عن صاحبه :

(١) سورة البقرة : ١٤٢
(٢) سورة آل عمران : ٢١-٢٢ .
(٣) سورة آل عمران : ٦٦ .
(٤) سورة آل عمران : ٧٨ .
(٥) سورة القصص : ٧٨
(٦) سورة آل عمران : ١٨٨ .
(٧) سورة لقمان : ١٨
(٨) سورة الأحقاف : ١٧-١٨ .

ونفي الإيمان أي نفي حقيقته، وهو نفي الإيمان الواجب الذي أمر الله به، وليس في القرآن نفي كمال الإيمان، ولذلك يأتي نفي الإيمان عن تارك القضايا الكلية، كقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2].

ويتبع ذلك تعليق الإيمان على تركه، وكأن الله يقول للناس : إن كنتم مؤمنين فاتركوا كذا : كقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]، أي ما كان لأهل الإيمان ويمتنع أشد الامتناع أن يتخلفوا عن رسول الله ×.

ويدخل في ذلك أيضا أن يوصف فاعل المنكر بأنه لا يؤمن بالله، أو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، كقوله: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[7]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[8].

(١) سورة البقرة : ١٠٠ .
(٢) سورة النساء : ٦٥ .
(٣) سورة البقرة : ٩١ .
(٤) سورة البقرة : ٢٧٨ .
(٥) سورة آل عمران : ١٧٥ .
(٦) سورة التوبة : ١٢٠ .
(٧) سورة المائدة : ٨١ .
(٨) سورة المائدة : ١٠٥ .

ويدخل في ذلك وصف المؤمن بتركه للمنكر: كقوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

١٤- بيان شؤم المنكر على صاحبه بجره لمنكر آخر :

الحسنات والسيئات كالبذور التي تنبت بالأرض، ولكل بذرة نصيبها من الثمار، وقد ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[2].

والبذرة الطيبة كالحسنة تنبت حسنات كثيرة، والبذرة الخبيثة كالسيئة تنبت سيئات كثيرة، ولذلك يتدرج الشيطان مع الناس، ليسهل عليهم الباطل شيئا فشيئا، وقد أورد ابن القيم في كتابه الجواب الكافي كلاما جيدا عن هذا الأمر، فقال: >وفي الحلية لأبي نعيم عن حذيفة أنه قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه.

ومن هاهنا قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن القبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت<[3].

والمقصود أن المعاصي تبحث عن أخواتها، وليس بعد الكفر ذنب، وإذا كذب الإنسان بيوم الدين، فإنه يدع اليتيم ويدفعه ويظلمه، ويحذر الناس من الصدقة، ويسهي عن الصلاة، ويرائي الناس، ويمنعون حقوق الناس.

وهذا التسلسل لتنفير الناس من التكذيب بيوم القيامة، ولذلك جاءت الصفات التي تكرهها العرب، من ظلم اليتيم، والمسكين ونحوهما، يقول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة: ٤٤.
(٢) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦.
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (٥٠/١).
(٤) سورة الماعون: ١-٧.

المبحث الثاني
عقوبة المنكرات

كان منهج القرآن قائما على الإعذار والإنذار قبل إنزال العقوبة، وهذا مقتضى رحمة الله وعدله.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]، فالآيات تبين أمر الله ونهيه، وتبين قبح المنكرات وعيبها، وكانت تهدد تهديدا عاما ليتعظ المؤمن، وينزجر المنافق والكافر، وهذا التهديد كان يجري بطرق، وهو على النحو الآتي:

١- أن يكون التهديد بأمر الناس بشيء أو نهيهم عن شيء ثم تبين الآيات ملك الله أو قدرته أو علمه أو ذكر سمع الله للكفار أو بصره بهم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2].

ووجه التهديد: تخويف صاحب المنكر بأن الملك كله لله، وهو قادر على سلبه ومنحه من يشاء، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾[3]، ووجه التهديد أن الله يهدد الذين كفروا به بأن له ما في السموات وما في الأرض، وهو الغني عنهم، ولو شاء لأهلكهم وأذهبهم كما أهلك من الذين من قبلهم، ومن ذلك قوله: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[4]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ .
(٢) سورة النساء : ١٧٠ .
(٣) سورة النساء : ١٣١-١٣٣ .
(٤) سورة النساء : ٣٤ .

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا)[1] وقوله تعالى: (وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)[2]، ووجه التهديد أن الله نهى عن اتخاذ آيات الله وأحكامه هزوا وأن يتذكر الخلق نعمة الله عليهم كالزواج ونحوه، وما أنزل عليهم من القرآن والسنة، وأن يتقوا الله ويعلموا بأنه بكل أحوالهم عليم فلا يعصوه .

٢- ومن التهديد أن يدعو الله الفاسقين لينتظروا عقوبة الله ويتربصوا أمره، فإنه نازل لا محالة بمن ظلم، وهذا كقوله تعالى: (قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)[3]، وقوله سبحانه: (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)[4]، وقوله: (لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ)[5]، وقوله: (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)[6]، وقوله: (وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ)[7].

٣- ومن التهديد تخويف الخلق من عذاب الله في الدنيا والآخرة ولقائه، كقوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)[8]، ووجه التهديد : أن الله سبحانه يخوف عباده فتنة ومحنة عظيمة عامة، ولذلك جاءت الفتنة بالتنكير للدلالة على التعظيم، وسبب التهديد

(١) سورة النساء : ٩٤.
(٢) سورة البقرة : ٢٣١ .
(٣) سورة التوبة : ٢٤
(٤) سورة هود : ١٢١-١٢٣ .
(٥) النحل : ٥٥ .
(٦) سورة هود : ١٢١-١٢٢
(٧) سورة الصافات: ١٧٨-١٧٩.
(٨) سورة الأنفال: ٢٥ .

أن الله أمرهم قبل هذه الآية بطاعته والاستجابة لأمره، ثم خوفهم من ترك ذلك، وكأن الله يقول لهم: إن لم تستجيبوا لي فخافوا فتنة ومحنة عظيمة ستنزل بكم دون تفريق بين الناس، بل ستشمل المحسن والمسيء، وقد قال الطاهر بن عاشور كلاما عظيما في تفسير هذه الآية لم أجد من سبقه إلى ترتيبه، وحسن ذكره لتناسب الآيات: >عقب تحريض جميعهم على الاستجابة، المستلزم تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنهم قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم إذا هم لم يقوموا عوج قومهم، كيلا يحسبوا أن امتثالهم كاف إذا عصى دهماؤهم، فحذرهم فتنة تلحقهم فتعم الظالم وغيره، فإن المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام دب بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة، وحاصل معنى الفتنة يرجع إلى اضطراب الآراء، واختلال السير، وحلول الخوف والحذر في نفوس الناس<[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ووجه التهديد : أن الله أمر المؤمنين بتقواه والخوف منه، وأخبرهم بأنهم ملاقوا ربهم، ليحذروه، ولا يقصروا في تقواه .

٧- ومن ذلك تهديد الكفار بنصر الله لنبيه والمتقين، وإهلاك أعدائه، كقوله : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[7]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[8].

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١٦/٩) .
(٢) سورة البقرة : ٢٢٣ .
(٣) سورة مريم : ٣٩ -٤٠ .
(٤) سورة سبأ : ٢٩-٣٠ .
(٥) سورة الأعراف : ٨٧ .
(٦) سورة الأعراف : ١٤٥ .
(٧) سورة محمد : ١٣ .
(٨) سورة الأنعام : ١٣٥ .

وكان الغرض من تهديد الخلق أن يحذروا عقابه قبل نزوله، فإن من الخلق من يقبل التحذير، وأما من لم يقبل ذلك فإن العقوبة الدنيوية بأيدي أهل الحق تردعه .

المطلب الأول
العقوبة الدنيوية

جعل الله عقابه في الدنيا والآخرة، لتحصل العبرة، وتزول عن القلب السكرة، فإن النفوس إذا رأت المحسوس أيقنت، واستيقظت، والمرض يسمع به الخلق فلا يحذره بعضهم، فإذا نزل ببعضهم حذره الباقون، وكذلك عقوبة الله فإنها إذا رآها الخلق انتبهوا، وقد قال الله تعالى في ذلك: (وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]، فالقصاص حياة للجاني، فيعاقب عقوبة تليق بجرمه فلا يتعدى عليه أحد فيقتله، والقصاص حياة لغير الجاني فتحفظ أرواح الناس من الجناية لأن المجرمين سيخافون القصاص، فعاد القصاص حياة للجاني والناس فصدق عليه أنه حياة .

ولما كانت العقوبات تأتي حسية ومعنوية جاءت العقوبات الشرعية كذلك، فالمعنوية تكون بالتشنيع على فاعل المنكر، ووصفه بأسوأ الصفات، وقد سبق كل ذلك، وبقي من العقوبات المعنوية حبوط العمل في الدنيا، والضعف الذي ينتاب صاحب المنكر، فأما حبوط العمل فقد ورد في ثلاثة مواضع :

الأول: قوله تعالى: (وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)[2]، والثاني قوله تعالى: (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)[3]، والثالث قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)[4].

وأما الضعف والوهن ففي قوله: (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)[5].

وهاتان العقوبتان المعنويتان تقتسمان جميع المنكرات فما من منكر إلا وقد ضعف صاحبه أو حبط عمله .

وأما العقوبات الحسية فتكون بالقصاص والحدود والكفارة، وهي على النحو الآتي :

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩ .
(٢) سورة المائدة : ٥ .
(٣) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٤) سورة الحجرات : ٢ .
(٥) سورة الجن : ٦ .

١- عقوبة السرقة بقطع اليد: قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

٢- الجلد مائة للزاني والزانية غير المحصنين: قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

٣- الجلد ثمانين لقاذف المحصنات: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٣).

٤- القصاص: ويشمل القصاص بالنفس وبما دون النفس: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

٥- وجوب الكفارة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٥).

(١) سورة المائدة : ٣٨ .
(٢) سورة النور : ٢ .
(٣) سورة النور : ٤ .
(٤) سورة البقرة : ١٧٨ .
(٥) سورة المائدة : ٩٥ .

المطلب الثاني
العقوبة الأخروية

وهي آخر العقوبات، وأصحابها إما أن يكونوا من الموحدين أو المشركين، فأما الموحدون فإنهم يعذبون حتى يطهروا من الذنوب، وذلك لأن الجنة طيبة لا تدخلها إلا نفس طيبة، ولأنا أصحاب الجنة مجاورون لربهم، والطيب لا يرجى إلا بجوار الطيب .

وأما المشركون فإنهم أنفس خبيثة لا تصلح لسكنى الجنة، ولا يليق بهم إلا لهيب النار، وذلك لأنهم أحرقوا فطرتهم، ودينهم في هذه الحياة الدنيا، ولو دامت حياتهم لدام كفرهم، فكان مصيرهم الخلود في النار .

وقد بينت الآيات عقوبة أصحاب المنكرات في الآخرة، على وجه الإجمال والتفصيل، ووجه الإجمال أن يبين القرآن دخول أهل المنكر من الكفار وغيرهم النار وعذابهم فيها، والتفصيل أن تأتي الآيات مبينة عقوبة منكر معين، ومواضع الإجمال كثيرة جدا: منها قوله تعالى :

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ)[1]، وقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)[2]، وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[3].

وتارة يقرن الله بين عذاب الدنيا والآخرة: كقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[4]، وقوله: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ

(١) سورة المائدة : ١٠ .
(٢) سورة المجادلة : ٨ .
(٣) سورة المائدة : ٣٦ .
(٤) سورة النور : ١٩ .

عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)[1].

وأما التفصيل، فنحو أن تأتي الآيات تبين عذاب الآخرة لمنكر معين وهذا كثير في القرآن، كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[2].

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ)[3].

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)[4].

ومن ذلك أن تبين الآيات حال أصحاب المنكرات يوم القيامة أو قولهم وهم في النار، كقوله: (وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)[5]، وقوله: (إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ)[6].

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٢) سورة النساء : ١٠
(٣) سورة البقرة : ١٧٤-١٧٥ .
(٤) سورة النور : ٢٣-٢٤
(٥) سورة الفرقان : ٢٧-٢٨
(٦) سورة البقرة : ١٦٦-١٦٧ .

الخاتمة

نخلص من هذا إلى النتائج الآتية :

١- التدرج في القرآن قضية ماضية، مستقرة في الأحكام، وكذا في التحذير من المنكرات .
٢- كان منهج القرآن في التحذير من المنكرات قائما على عيب المنكر وصاحبه، وعلى عقوبة فاعل المنكر في الدنيا والآخرة .
٣- كان عيب فاعل المنكر أكثر من عيب المنكر، وعيب المنكر أكثر من ذكر عقوبة فاعل المنكر في الدنيا .
٤- تعددت وتنوعت صور عيب فاعل المنكر، وعيب المنكر، وعقوبة فاعل المنكر في الدنيا والآخرة، تأكيدا لذلك وتعظيما له، وتنفيرا عنه .
٥- كانت أوصاف فاعل المنكر شاملة لكثير من المنكرات، لأن المنكرات يجر بعضها بعضا .
٦- لكل شيء في القرآن منهج، فعيب المنكر له منهج، وعيب فاعل المنكر له منهج، والعقوبات في القرآن لها منهج، والتهديد في القرآن له منهج .
٧- المنكرات والسيئات والخطايا والذنوب والمعاصي والإثم والفجور مترادفات يشبه بعضها بعضا .

المراجع

١- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت
٢- إرشاد السالك في فقه مالك، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر
٣- بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤- تفسير ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٥- تفسير السعدي، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٦- جامع البيان للطبري تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر.
٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٨- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ .
٩- تهذيب الكمال للمزي، تحقيق : بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت .
١٠- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، دار المعرفة – المغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١١- سنن أبي داود، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
١٢- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٣- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤- المجموع للنووي، دار الفكر .
١٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
١٦- معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي .
١٧- المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة .
١٨- مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ